بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد.. فإن من النعم العظيمة التي أنعم الله بها علينا إنزال القرآن الكريم، قال سبحانه: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ . [المائدة:16-15].

فهو كتاب رباني احتوى على البيان والنور اللذان تحصل بهما الهداية لمن أراد سلوك الطريق الموصلة إلى الله سبحانه وتعالى.

أنزله الله – جل وعلا– على النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– بواسطة جبريل –عليه السلام–، فاعتنى به نبينا –صلى الله عليه وسلم– عناية عظيمة، حتى بلغ من شأنه أنه إذا جاءه جبريل بالوحي، وشرع في تلاوته عليه، بادره النبي –صلى الله عليه وسلم– وتلاه مع تلاوة جبريل إياه قبل أن يفرغ، وذلك بسبب حرصه على أخذه، فنهاه الله عن هذا فقال له: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ .

وروى البخاري صحيحه عَن ابْن عَبَّاس –رضي الله عنهما– قال: في قَوْله تعالى ﴿ لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – إِذَا نَزَلَ جِبْرِيلُ بِالْوَحْىِ ، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ وَكَانَ يُعْرَفُ مِنْهُ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ الآيَةَ الَّتِي فِي ﴿ لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ قَالَ عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَهُ فِى صَدْرِكَ ، وَقُرْآنَهُ ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ فَإِذَا أَنْزَلْنَاهُ فَاسْتَمِعْ ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَهُ بِلِسَانِكَ – قَالَ – فَكَانَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ ، فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللَّهُ.

فما توفاه الله سبحانه وتعالى حتى بلغ ما أوحي إليه من كلام ربه، فعلى المسلم أن يسلك هدي نبينا –صلى الله عليه وسلم – في التعامل مع كتاب الله لأنه هو الأسوة والقدوة الحسنة الذي أمرنا ربنا –سبحانه وتعالى– باتباعه فقال:﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[الأحزاب: 21]

لقد أمر الله رسوله –صلى الله عليه وسلم– بتلاوة القرآن وترتيله في بداية النبوة وفي أول زمن البعثة وفي أوائل ما نزل من القرآن، فأول ما نزل من الآيات كما تعلمون قول الله سبحانه وتعالى : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[العلق:1] وهذا الأمر يشمل عموم القراءة، إلا أن انصرافها للقرآن أولى وأقوى، ولذلك جاء الأمر في سورة المزمل وهي من أوائل ما نزل من القرآن بترتيل القرآن وتلاوته قال تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل 4-1].

فيتعلم المسلم أهمية القراءة في الإسلام عموما، لأنها أول أمر صدر للنبي – صلى الله عليه وسلم – من ربه، ويتعلم أهمية قراءة القرآن وترتيله، خصوصا في صلاة الليل، لأن الله سبحانه وتعالى خصه نبيه – صلى الله عليه وسلم – بالأمر بها في أول نبوته، وفي هذا دلالة على فضيلة ترتيل القرآن.

وجاء الأمر للنبي – صلى الله عليه وسلم – بتلاوة القرآن في موضع آخر فقال سبحانه : ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (91) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾[القصص:92-91]

فامتثل –صلى الله عليه وسلم– الأمر وبادر إلى تلاوة كتاب ربه سبحانه وتعالى ، كما قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد (1/464) :" كَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَائِمًا وَقَاعِدًا وَمُضْطَجِعًا وَمُتَوَضِّئًا وَمُحْدِثًا وَلَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُ مِنْ قِرَاءَتِه إِلّا الْجَنَابَةُ " .

فكيف كان – صلى الله عليه وسلم – يتعامل مع كتاب ربه ؟

تعالوا بنا ننظر في سيرته – صلى الله عليه وسلم – لنتعرف على هديه ، فهو القدوة والأسوة لكل مسلم.

فمن هدي النبي –صلى الله عليه وسلم– مع كتاب الله –سبحانه وتعالى– المداومة على تلاوته آناء الليل وأطراف النهار ، فكان يكثر من تلاوته في الصلاة، خصوصاً صلاة قيام الليل وكان يقول : "أَفْضَلُ الصَّلاَةِ طُولُ الْقُنُوتِ" أي القيام ، رواه مسلم.

وربما قرأ البقرة والنساء وآل عمران في ركعة واحدة، فروى مسلم عَنْ حُذَيْفَةَ – رضي الله عنه –قَالَ : صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا..." .

ومن هديه صلى الله عليه وسلم في تلاوة القرآن الاستعاذة قبل القراءة ممتثلاً قول الله –تبارك وتعالى– : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ فكان يقول :"أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه" رواه الترمذي.

وكان أحيانا يقول :" أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه " رواه أبوداود.

ومن هديه ﷺ في التلاوة أنّ قراءته كانت ترتيلاً، لا هذاً ولا عجلة، بل قراءة مفسرة حرفاً حرفاً. ممتثلاً قول الله سبحانه:﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ ، وكان يقطع قراءته آية آية، فيقف على رؤوس الآي ولا يصلها بما بعدها ،كان يمد عند حروف المد فيمد الرَّحْمَنَ وَيَمُدّ الرَّحِيمَ.

تقول أم المؤمنين حفصة –رضي الله عنها – وهي تصف قراءته وصلاته: "كَانَ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ بِالسُّورَةِ فَيُرَتِّلُهَا حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلَ مِنْ أَطْوَلَ مِنْهَا " رواه مسلم

وكان يحب أن يسمع القران من غيره، وأمر عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه– فقرأ عليه وهو يسمع، وخشع –صلى الله عليه وسلم– لسماع القرآن منه، حتى ذرفت عيناه ، فعن عبد الله ابن مسعود قال: قَالَ لِي النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– : «اقْرَأْ عَلَيَّ». قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ:«نَعَمْ؛ فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِن غَيْرِى».

قال : فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ {سُورَةَ النِّسَاءِ}،حَتَّى إذابَلَغْتُ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ ؛ قَالَ لى: «أَمْسِكْ» (وفي روايةٍ: "حَسْبُكَ الآنَ"، فالْتَفَتُّ إليهِ) , فإذا عَيْناهُ تَذْرِفانِ. متفق عليه

هدي النبي صلى الله عليه وسلم مع القرآن

الشيخ سعيد بن سالم القرملي

حفظه الله

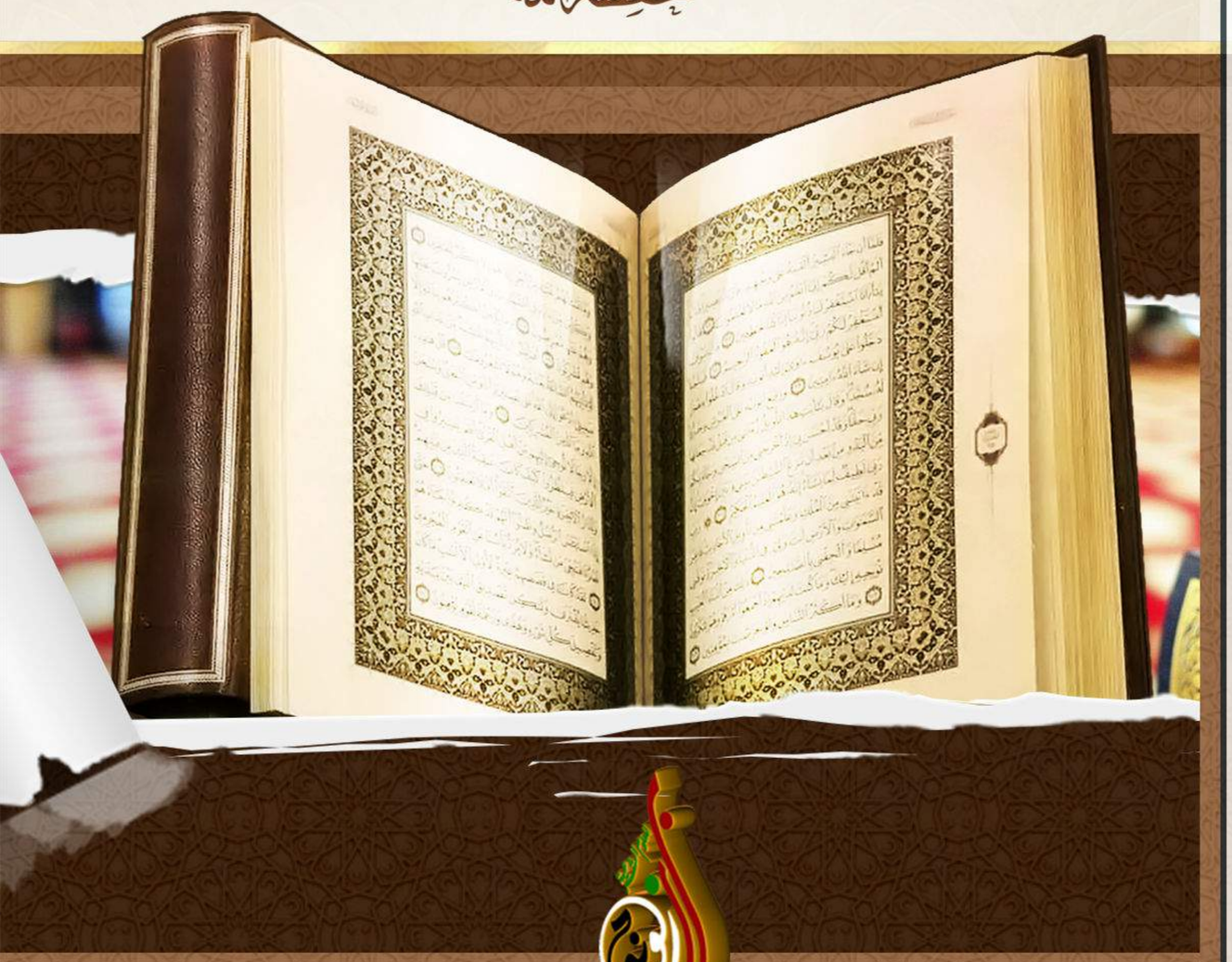

وربما مر بالقارئ يتلو القرآن فيقف يستمع إلى تلاوته فعن ابي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ قِرَاءَتَكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُعْطِيْتَ مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوود)) . قُلْتُ: "أَمَا وَاللهِ يَارَسُولَ اللهِ، إِنْ أَعْلَمْ أَنَّكَ تَسْمَعُ قِرَاءَتِي لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيْراً " رواه مسلم والبيهقي.

وكان صلى الله عليه وسلم يتدبر القرآن إذا تلاه أو سمعه، وربما قام الليل بآية واحدة كقوله تعالى ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ . [المائدة:118]

والحديث رواه أحمد.

وكان صلى الله عليه وسلم يتغنى بالقرآن ويحسن صوته به فعن الْبَرَاء –رضى الله عنه– قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – يَقْرَأُ ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ فِي الْعِشَاءِ ، وَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ أَوْ قِرَاءَةً. متفق عليه

وكان يعجبه الصوب الحسن فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الْمَسْجِدَ فَسَمِعَ قِرَاءَةَ رَجُلٍ، فَقَالَ: " مَنْ هَذَا؟ " قِيلَ: عَبْدُ اللهِ بْنُ قَيْسٍ، فَقَالَ: " لَقَدْ أُوتِيَ هَذَا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ " رواه أحمد.

وكان من هدَيه –صلى الله عليه وسلم – أنه لا يختم القرآن في أقل من ثلاث ليال فعن عائشة رضي الله عنها قالت" : كان رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاثٍ " سلسلة الأحاديث الصحيحة ح 2466

وربما قرأ السورة فيها سجدة فيسجد ويسجد من وراءه ، فعن ابنِ عُمَرَ قالَ: " كانَ النبيُّ –صلى الله عليه وسلم– يَقرأُ السورةَ التي فيها السَجدةُ ونحنُ عندهُ، فيسجُدُ، ونسجدُ معَه، فنزدحمُ، حتى ما يجدُ أحدُنا لِجبهتهِ موْضعاً يسجُدُ عليهِ " رواه البخاري

فهذه بعض المواقف من سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم – في تعامله مع كتاب ربه، فعلينا أن نقبل على كتاب ربنا سبحانه وتعالى وأن نعطيه حقه من التلاوة والتدبر والعمل، ولا نكون من هجر تلاوته أو تدبره أو عمله.

وفقنا الله جميعا لما يحبه ويرضاه، وجعلنا من أهل القرآن وخاصته .

والحمد لله رب العالمين

@Baynoonanet
www.baynoona.net